

تفسير ابن كثير

التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ^ق وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

هذا نعت المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بهذه الصفات الجميلة والخلال

الجليلة : (التائبون) من الذنوب كلها ، التاركون للفواحش ، (العابدون) أي : القائمون

بعبادة ربهم محافظين عليها ، وهي الأقوال والأفعال فمن أخص الأقوال الحمد ؛ فهذا

قال : (الحامدون) ومن أفضل الأعمال الصيام ، وهو ترك الملاذ من الطعام والشراب

والجماع ، وهو المراد بالسياحة هاهنا ؛ ولهذا قال : (السائحون) كما وصف أزواج

النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في قوله تعالى : (سائحات) [التحريم : 5] أي : صائمات

، وكذا الركوع والسجود ، وهما عبارة عن الصلاة ، ولهذا قال : (الراكعون الساجدون)

وهم مع ذلك ينفعون خلق الله ، ويرشدونهم إلى طاعة الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن

المنكر ، مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه ، وهو حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه ،

علما وعملا فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق ؛ ولهذا قال : (وبشر المؤمنين) لأن الإيمان

يشمل هذا كله ، والسعادة كل السعادة لمن اتصف به . [بيان أن المراد بالسياحة الصيام]

قال سفيان الثوري ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله بن مسعود قال : (السائحون)

الصائمون . وكذا روي عن سعيد بن جبير ، والعمري عن ابن عباس . وقال علي بن أبي

طلحة ، عن ابن عباس : كل ما ذكر الله في القرآن السياحة : هم الصائمون . وكذا قال

الضحاك ، رحمه الله . وقال ابن جرير : حدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا أبو أحمد ،

حدثنا إبراهيم بن يزيد ، عن الوليد بن عبد الله ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت :

سياحة هذه الأمة الصيام . وهكذا قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، وأبو عبد

الرحمن السلمي ، والضحاك بن مزاحم ، وسفيان بن عيينة وغيرهم : أن المراد بالسائحين :

الصائمون . وقال الحسن البصري : (السائحون) الصائمون شهر رمضان . وقال أبو عمرو

العبدي : (السائحون) الذين يديمون الصيام من المؤمنين . وقد ورد في حديث مرفوع نحو

هذا ، وقال ابن جرير : حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، حدثنا حكيم بن حزام ،

حدثنا سليمان ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

: " السائحون هم الصائمون " [ثم رواه عن بندار ، عن ابن مهدي ، عن إسرائيل ، عن

سليمان الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة أنه قال : (السائحون) الصائمون [وهذا الموقوف أصح . وقال أيضا : حدثني يونس ، عن ابن وهب ، عن عمر بن الحارث ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال : " هم الصائمون " . وهذا مرسل جيد . فهذه الأقوال وأشهرها ، وجاء ما يدل على أن السياحة الجهاد ، وهو ما روى أبو داود في سننه ، من حديث أبي أمامة أن رجلا قال : يا رسول الله ، ائذن لي في السياحة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله " . وقال ابن المبارك ، عن ابن لهيعة : أخبرني عمارة بن غزية : أن السياحة ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أبدلنا الله بذلك الجهاد في سبيل الله ، والتكبير على كل شرف " . وعن عكرمة أنه قال : هم طلبة العلم . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هم المهاجرون . رواهما ابن أبي حاتم . وليس المراد من السياحة ما قد يفهمه بعض من يتعبد بمجرد السياحة في الأرض ، والتفرد في شواهد الجبال والكهوف والبراري ، فإن هذا ليس بمشروع إلا في أيام الفتن والزلازل في الدين ، كما ثبت في صحيح البخاري ، عن أبي

سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يوشك أن يكون خير مال الرجل

غنم يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن " .وقال العوفي وعلي بن

أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (والحافظون لحدود الله) قال : القائمون بطاعة

الله . وكذا قال الحسن البصري ، وعنه رواية : (والحافظون لحدود الله) قال : لفرائض

الله ، وفي رواية : القائمون على أمر الله .